المحاضرة الخامسة : المقاومة في المدينة والريف

مقدمة :

ان الاستدمار الممارس من طرف المحتل الفرنسي والذي تعددت صورة وتعالت ضراوته في حق من هم أصحاب الأرض الحقيقيين من جراء تعسف تعصب تنكر خيانة تملص استهتار بالقيم قد دفع بالجزائريين لرفع لواء المقاومة التي تعددت صورها ما بين المقاومة السياسية '(المدنية) والعسكرية

المقاومة في المدينة مقاومة الحضر والتي تسمى بالمقاومة المدنية (السياسية)

1/ المقاومة السياسية : هي عبارة عن رفض لسلطة المحتل وسياسته المنتهجة ضد المسلمين الجزائريين بشكل سلمي.

2/ وسائلها: العرائض - الرسائل ، الشكاوي ، الفعل الدبلوماسي،...

3/ نماذجها (روادها)

أ/المفتي مصطفى الكبابطي :

لم يمضي شهرين على اتفاقية معاهدة الاستسلام الا وفرنسا تقوم باصدار أمر في 1830/09/08 والذي يقضي بالاستيلاء على الاوقاف الاسلامية وهو فيما معناه المساس بالدين الاسلامي وهنا انتفض المفتي المتقدم ذكره وعرف بمعارضته الشديدة والعلنية لأوامر الحكومة الفرنسية التي حاولت ضم الأوقاف إلى أملاك الدولة الفرنسية لدرجة دفعت بالفرنسيين لاتهامه أنه يدبر ثورة ضدهم

ب/المفتي محمد العنابي :

على اثر إصدار أمر 1830/12/07 والذي يدلي بحق التصرف التام في المؤسسات الدينية بالتأجير والكراء أو البيع أو الهبة وعلى اثر ذلك وضعت يدها على كافة المؤسسات الدينية وقاومت بتحويلها حسب أهوائها إلى مستشفيات وكنائس ومحلات وحتى استبلات وطالت يدها حرمة المقابر فدنستها وكذا الحال بالجثث وعظام الموتى التي استخدمتها في تصنيع الكربون الشيء الذي دفع بالمفتي العنابي بإرسال رسائل لكوزيل عند استخدامه المساجد كمستشفيات

وذكره نصوص المعاهدة وان هذا الصنيع هو خرق للمعاهدة الشيء الذي دفع كلوزيل بتدبير مؤامرة ضده.

ج/ حمدان خوجة :

جراء تمادي السلطات الاستعمارية في النهب والتقتيل وافتكاك مصادر رزق الجزائريين وتأتي في مقدمتها الأرض الشيء الذي جعله يتخلى عن مهادنة الاستعمار وصرح برفضه القاطع لهذه الممارسات ، فقام بتحرير عرائض وشكاوي ضد ممارسات الاحتلال الفرنسي .

هذا وصدر عنه نشاط سري مع صديقه الانجليزي "بانستير"الذي قام بتحرير منه كراسته المشهور ة بعنوان نداء من أجل الجزائر والتي قام بتوزيعها على مواطنيه وايعاز من حمدان خوجة تم ارسال عريضة للبرلمان الانجليزي في 1833/03/02 يدعوا فيها لدعم ومساندة الجزائر في مقاومتها للاحتلال الفرنسي .

كما **أرسل حمدان خوجة رسالة إلى الحكومة الفرنسية في 1833/06/03**والتي تضمنت ثمانية عشر (18)شكاية عدد فيها المظالم والاعتداءات التي ارتكبتها ادارة الاحتلال في حق الجزائريين .

رسائل حمدان خوجة للسلطان العثماني محمود الثاني

أرسل عام 1834 رسالة الى السلطان العثماني يصور له فيها أوان الظلم الذي يتجرعه الجزائريون من فرنسا ويستعطفه للقيام بتدخل لصالح الشأن الجزائري وفي 1834/12/18 تقابل السفير العثماني الى باريس وهو مصطفى رشدي باي مع وزير الخارجية الفرنسي واعلمه بانه مكلف بالتباحث لتأمين إعادة الجزائر للدولة العثمانية وأعرب للوزير بانه يقدم مذكرة للحكومة حول هذا الأمر وفي ختام المقابلة ذكر وزير الخارجية الفرنسي بان فرنسا لن تتخلى عن الجزائر

وفي اسطنبول جرت محادثات مع دول أوربية في هذا الشان مع كل من روسيا وانجلترا ولكن دون جدوى .

عرائض حمدان خوجة : 1833-1834

نقد السلطات الاستعمارية والظلم الذي يعاني منه الشعب الجزائري فقدم شكاوي في شكل عريضة للملك لويس فليب في 1833/07/10 ملتمسا منه التدخل شخصيا لصالح القضية الجزائرية

***كتاب المرآة** : نتيجة لعدم تلقيه أي رد ،توجه للرأي العام الفرنسي محررا هذا الكتاب المعنون بالمرآة الذي عد بمثابة انعكاس للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي آلت إليها الجزائر في ظل السيطرة الاستعمارية قدمه لأعضاء لجنة التحقيق مرفوقا برسالة كتب مطالب الجزائريين وندد بشدة الإدارة الفرنسية التي عاثت فسادا بالبلاد.

***لجنة المغاربة** : هو بمثابة أول حزب وطني سياسي جزائري لمقاومة الاحتلال أسسه حمدان خوجة بعد نفيه لباريس في ماي 1833 وانظم إليه رفاقه المنفيين هناك في عهد دوروفيقو

قاد الحزب سرا ثم ظهر بالمطالب السياسية وكانت له مقالات في عدة صحف وجرائد كجريدة البريد الفرنسي والوطني موجه إلى مسؤولين فرنسيين يشرح فيها المظالم الفرنسية في الجزائر

عريضة أحمد بوضربة :

طرح هذه المذكرة يتمحور حول تحسين الأوضاع البلاد وخدمة للصالح العام و مقاربة بين مصالح فرنسا ومصالح المعمرين ومصالح الأهالي بما في ذلك سكان المدن والأرياف

كما انتقد الاحتلال الفرنسي وذكر أن أسوأ ما تميز به هو عدم اتباعه لنظام ثابت وقال ان الاحتلال لم يقم بحماية أحد فكانت النتيجة أن الذين كانوا مع الاحتلال قد تخلو عنه.

قدم حلول لتسهيل عملية الاندماج ومن ذلك السماح للعرب بالسكن إلى جوار المعمرين في قرى تبنى لهذا الغرض لتكون نافذة للاطلاع على حضارة الفرنسي.

واقترح إنشاء جريدة لبث الفكر الفرنسي مع تجنبها الخوض في المسائل الدينية لأن فيها معاداة للجزائريين

لم يمانع من دمج اليهود مع العرب شريطة أن لا يقود ثورة ضدهم

ورأى ان حكم فرنسا بالاعتدال والعدل والصبر فيه فائدة عليها وواضح في سبع فصول ما يراه مفيدا لتنفيذ هذه الخطة .

عريضة حمدان بن أمين السكة :

ذكر أن الواقع لا يعكس الزعم الفرنسي حول المهمة التي هم من أجلها في الجزائر ، فالممارسة الفرنسية تكرس العداء ، كما رأى باعتماد على الجنود الجزائريين حتى تستكمل مهمتها وهي نقاط تشابهها فيها مع أراء بوضربة واختلف عنه في المطالبة بأن يكون آغا العرب مسلما وانتقد بشدة تصرفات الفرنسيين وقائد الجيش بيرتزين ودوريفيقو

وقد اتسم طرحه بين الاعتدال والميل الظاهر لفرنسا ونقمته المكبوتة على عكس بوضربة الذي كرس الاحتلال في جميع مجالاته(إدارية ، اقتصادية ، عسكريو)

4/موقف الاحتلال من رد فعل الحضر:

اعتبرت فرنسا ما أقدم عليه الحضر من رد فعل المتجلي بعناصر ثلاثة هي : العرائض ، الشكاوي والرسائل مؤامرة ضد فرنسا لذلك لم تتأخر في اتخاذ التدابير الضرورية في درء ذلك عن طريق النفي أو السجن كل حسب نشاطه .

ثانيا : المقاومة في الريف

كانت هذه المقاومة حاضرة منذ الوهلة الأولى لسقوط الحكم المركزي (الحكم العثماني)وفي ظل عجز المدن عن صنع قيادة جديدة فملأ الفراغ هذا العهد أمثال الحاج السعدي والحج بن زعموم والأمرين عبد القادر ،...

وما يميز هذه الفترة هو الجمع بين القيادتين الروحية والدينيوية (الروح والمادة)كما فعل الأمير عبد القادر مثلا .

ففي الوقت الذي اكتفى فيه الحضر برفع الشكاوي والاحتجاجات للسلطة .

-تحركت المقامة في الريف وهي يدفعها حب الوطن وبغض الغريب والانتصار للدين وحفظ الأرض والشرف وقد ظهرت هذه المقاومة أولا بأولا تبعا لظهور العدو على المسرح في كل شبر من الجزائر .

مرت هذه المقاومة بمرحلتين الحصار والمجابهة عن طريق الكر والفر والاشتباك المباشر

وبعد سقوط العاصمة في يد العدو تراجعت القوات الريفية وتموقعت حول العاصمة وهي في حالة تأهب للحرب مصممة أن لا تترك العدو يتجاوز المدينة إلى اليابسة وان كان قد تفوق

بالسلاح الحديث فليمت جوعا داخل أسوار المدينة ، وهكذا نظمت المقاومة الريفية التلقائية محاصرة إياه من كل الجهات إلا من جهة البحر فأخذ الجوع ينهشه وارتفعت أسعار المواد بشكل مريب جدا وراح أعيان المدينة يهربون منها إلى مزارعهم في الريف ونفد زاد الفرنسيين لدرجة اشتهوا اللحم ولم يذوقو هإلا بنهم القطط الهائمة من حولهم وأخذ المريض واليأس يضرب مضاجعهم ويهدد أمنهم واستقرارهم .

ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا لان القيادات الريفية كانت تراجع إمكاناتها وتوحد صفوفها وقيادات العاصمة تبحث عن حل سياسي مع الطرف الفرنسي وحل عسكري مع الريفيين ، ومن جهة أخرى أراد الفرنسيون كسر الحصار والخروج إلى متيجة والوصول أن أمكن البليدة ذلك السهل الخصيب .

بدأ ديبرمون التجربة وكررها كلوزيل الذي وصل حتى المدية وكرر بيرتزين أيضا وفي عهد روفيقو وقعت مذبحة العوفية الفظيعة وبهكذا شاكلة تحدى الاحتلال المقاومة الريفية فكيف كان رد فعل المقاومة الريفية ؟

*خصائص المقاومة الريفية

1. تعد نوع من أنواع المقاومة المبكرة التي أوضحت للمناطق والنواحي الأخرى سبل موجهة غارات الاحتلال.
2. جمعت بين القيادتين الروحية والدنيوية
3. عرفت تجمعات شكلت نواة المؤتمرات الوطنية التي تبلور فيها الضمير الوطني من أجل الدفاع عن الصالح العام .
4. واجهت برغم بساطة عتادها قوات العدو.
5. تحصنت هذه المقاومة بجبال الأطلس كلما اشتد عليها ضغط العدو .